المحاضرة الرابعة

آلالاخ

يعرف موقع آلالاخ الحالي باسم تل العطشانة عند المجرى السفلي لنهر العاصي بالقرب من مدينة أنطاكية في لواء اسكندرون.

كشفت الحفريات فيه عن سبع عشرة طبقة أثرية يمتد تاريخها من بداية العصور البرونزية (أواخر القرن الرابع قبل الميلاد) حتى بداية القرن الثاني عشر ق.م (بداية عصر الحديد) زمن غزوات شعوب البحر التي دمرت آلالاخ وغيرها من المدن الساحلية. موقع آلالاخ لعب دوراً متطابقاً من حيث الأهمية في العصور القديمة كما في العصور الحديثة.

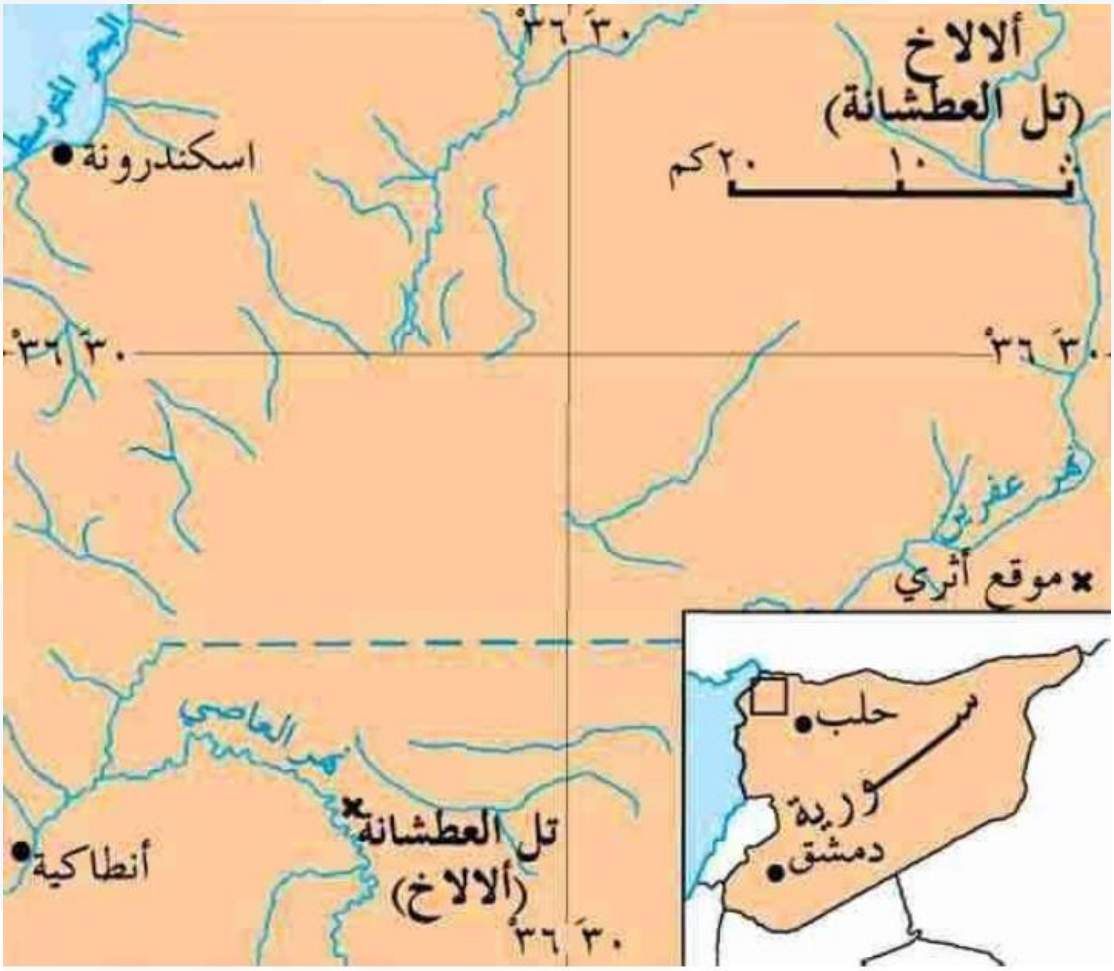

المكتشفات الأثرية في التل تدل على تطور السكان الثقافي والزراعي, فقد حُصل على دمية تمثل الربة الأم , وهي من الحجر الذي نحت بفضل آلة حادة من حجر الصوان. وعثر في التل على فخاريات يدوية خشنة. ثم عمد السكان إلى إنتاج فخار مزين مشابه لفخار الفرات المتطور, وقد أثبت أن انتشار هذا الفخار في مناطق واسعة حتى الأناضول أنه كان ينتج بسرعة على الدولاب وستطاع أن يحتل مكانة تجارية واسعة.

واستطاعت البعثة التنقيبية بقيادة ليونارد وولي الانكليزي Leonard wooly واستطاع وولي أن يحظى ببعض الأختام المصنوعة من العظم ذات الطبعات التزيينية الهندسية, وأنها تمثل بدايات انتشار الأختام الكتابية وجميعها تبين التطور الفني.

ومن أهم المكتشفات الأثرية قصر الحاكم باريم ليم الذي بني فوق قصر أقدم منه. ونعرف من المصادر الحثية أن شمالي سورية, ومن ضمنه آلالاخ بقي خاضعاً اسمياً للملكة الحثية القديمة واستمر هذا الخضوع حتى ظهور الإمبراطورية الحورية الميتانية في منطقة الجزيرة وتوسعها باتجاه الغرب غلى سواحل البحر المتوسط الشرقية وقد أرخت هذه الفترة على نقش إدريمي Idrimi العائد إلى هذه الحقبة بأهمية خاصة وهو عبارة عن سيرة ذاتية نقشت على تمثال ادريمي ملك آلالاخ المنحوت من حجر كلسي بارتفاع متر وخمسة سنتمترات تتحدث عن حياة ادريمي نفسه ثم يذكر تمرداً حدث في حلب مقر حكم أبيه أرغمه هو وأخوته على الهرب إلى مدينة إيمار حيث يقيم أخواله.

ادريمي

المضمون الحضاري لنصوص آلالاخ:

كان تاريخ سورية الحضاري والسياسي خاصة مجهولاً في عصر خلفاء حمورابي قبل اكتشاف نصوص مدينة آلالاخ, وكانت حلب قد لعبت دوراً حضارياً مهماً في عصر حمورابي البابلي, كشفت عن هذا الدور وثائق مدينة ماري, وبعد سقوط ماري على يد حمورابي. وكان العلماء يعتقدون باستمرار الاتصال بين بابل وحلب هما المتنافسان القويان الوحيدان في أعلى الفرات وجهات الغرب منه, وجاء اكتشاف نصوص آلالاخ التابعة للعاصمة حلب إثباتا لهذا الاعتقاد.

نصوص آلالاخ:

تم اكتشاف ما يزيد عن أربعمائة نص مسماري اكادي في المباني الملكية.

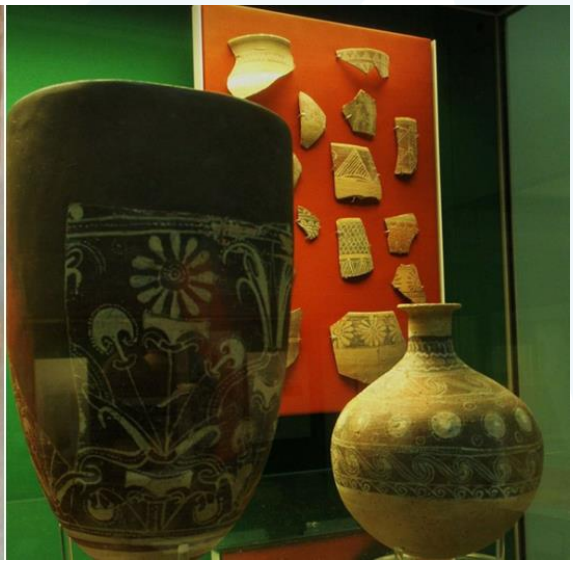

كانت السيادة كما تعكس النصوص للأمراء الحلبيين من أصل أكوري, أما الغالبية من السكان فقد كانت للعنصر الأموري الأكادي, ولا نعلم شيء عن واقع سورية الداخلية والجنوبية في فترة نصوص آلالاخ. إلا أننا نجد أسماء مدن وأماكن مثل قطنة – أوجاريت– ماري ولا نجد في نصوص آلالاخ علاقة بالهكسوس الذي يفترض أنهم احتلوا دلتا النيل في حوالي 1720ق.م.

تظهر لنا النصوص ظهور عادة تبديل إقطاع بآخر والهدف هو الحفاظ على السلطة المركزية ومراقبة طرق التجارة وتحركات القوى المعادية أو ربما كان أيضاً بدافع تحصيل الرسوم والضرائب.

تعكس لنا النصوص دور الحاكم في فض النزعات وعقد البيوتات فقد قام أميتكوم بفض خصومة بين امرأة تدعى أشات وأباتوم من أجل ما يزيد عن أربعين كيلو غرام من الفضة (أليس هذا برهاناً على الغنى لهذه السيدة في ذلك العصر).

مراتب المجتمع:

ضمت اللوائح الإحصائية لثلاث وخمسين لوحة فخارية أسماء سكان أربع عشرة قرية زراعية تخضع مباشرة لمدينة آلالاخ في القرن الخامس عشر ق.م. وقد نظمت هذه المراتب الاجتماعية مبتدئة بالمرتبة الأدنى:

1. تسابه نامه Sabe name المرتبة الأدنى ويحق لهم امتلاك كرم عنب أو حقل صغير, يعيشون على أطراف المدينة أو يقوموا بأعمال السخرة.
2. خاني أخو hani ahu المرتبة الثانية وهي بني سمأل أو سكان الضفة اليسرى للفرات. كان لهم تجارتهم الخاصة أو حراساً في القصر.
3. المرتبة الأولى تسمى ماريانو Marianu يملكون عربات النقل التي كانت تخصص لأغراض حربية أو كانت تستخدم لأغراض النقل الزراعي المدني.

وإذا حاولنا رسم صورة آلالاخ في القرن 18 ق.م فإنها تشبه إلى حد كبير قرية سورية معاصرة, حيث نرى سوق القرية بحوانيته وبائعيه وصانعيه وحرفيه, وقوافل قادمة من حلب وإيمار, وزائرين, وأعداداً من العبيد والذكور والإناث.

– احترمت العقود أي عقود البيع ووقعت بأعداد كبيرة من الشهود وكثيراً ما ختمت بخاتم الملك, وهذا دليل على حضوره عقد الصفقات التجارية.

مملكة قطنه

ابتدأ الاستيطان في قطنه (تل المشرفة) منذ الألف الثالث ق.م وحتى نهاية الألف الثالث ق.م . ثم عادت للظهور في بداية الألف الأول ق.م, وكانت قطنه على علاقة مع ماري وبابل وحلب وايبلا, وكانت من المراكز الاقتصادية الهامة في الجنوب, وكانت آلالاخ مثلها في الشمال.

حكم قطنه أسرة تبدأ بالملك (أشخي أدد) ثم ابنه(أمون بيئيل) وعند انهيار قطنه تشرد سكانها ومنهم من وصل إلى مصر .

مملكة كركميش

في منطقة الفرات الأعلى إلى الشمال الغربي من ماري وإلى الشرق من يمحاض, في الموقع الذي توجد فيه جرابلس الحالية. اكتسبت أهمية كبيرة منذ تأسيسها لوقوعها بالقرب من أحد معابر الفرات ومن غابات جبال طوروس الغنية بالأشجار الصنوبرية.

ذُكرت في محفوظات إبلا الملكية وماري, فهي دولة تجارية بالدرجة الأولى لذلك حافظت على علاقات طيبة مع جيرانها وخاصة في منطقة الفرات الأوسط وذلك لتأمين السلامة لتجارة العبور. وقامت بينها وبين آلالاخ أيضاً علاقات تجارية من خلال النصوص التي بينت الواردات والصادرات.

= وفي تلك الفترة ظهرت أوجاريت (التي سنرد ذكرها بالتفصيل) وتمتعت بعلاقات تجارية هامة مع ماري ويمحاض وكركميش.

=وهناك جبيل في شمال بيروت أيضا تمتعت بعلاقات تجارية وطيبة مع جيرانها في تلك الفترة. كما أقامت علاقة وثيقة مع مصر في مجال تجارة الخشب دون أن تخضع لها.

=وهناك حاصور في تل القدح في الجليل الأعلى شمالي فلسطين , وكانت مقصد للتجار من ماري, وكانت مملكة مستقلة, لها علاقاتها الواسعة مع الممالك المختلفة, فقد كانت محطة مهمة على طريق تربط بلاد الرافدين مع المدن السورية المختلفة مع حلب.

الحوريون ومملكة حوري ميتاني

الحوريون جماعات بشرية هاجرت إلى شمال بلاد الرافدين من منطقة الجزيرة في الثلث الأخير من الألف الثالث ق.م قادمة من هضبة الأناضول, وتأثروا كثيراً بالثقافة السورية – الأكادية.

وتظهر نصوص آلالاخ التي تعود للقرن الثامن عشر والسابع عشر ق.م أسماء حورية متعددة.

ويعتقد أن الحوريون انتشروا بعد سقوط ماري على يد حمورابي البابلي بشكل سريع في منطقة الفرات الأوسط ووصلوا إلى وادي العاصي.

تمكن الحوريون من بناء مملكة كبيرة بلغت أوج قوتها في منتصف الألف الثاني ق.م وهي مملكة ميتاني– حوري التي دخلت في تنافس مع الإمبراطورية المصرية, تخللها فترة سلام لكن الضعف دب على هذه المملكة نتيجة صراعات داخلية على العرش ونتيجة تدخلات الحثيين.